الباب الرابع
قصة زمزم

قال البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا ليعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء[1] فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه أنيس ؟ ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت : آلله أمرك بذا ؟ قال : نعم : قالت : إذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال{ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم } حتى بلغ { يشكرون } وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه ،يتلوى أو قال : يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت

---

1) تفسير ابن كثير جزء 1 - ص 236

الوادي: رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي (ص): فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس : قال النبي (ص) : يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم جماعة من قبيلة جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً يحوم فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء عهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبرهم بالماء فأقبلوا قال : وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ولكن لا حق لكم في الماء عندنا قالوا : نعم قال ابن عباس : قال النبي (ص) فطمأن ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل

أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل[1]

ردم بئر زمزم :

كانت جرهم تعيش فى أمان الكعبة ثم عصوا وفجروا وشربوا الخمور وزنوا لذلك هجرهم عمرو بن الحارث بن مضاض وردم بئر زمزم وذهب إلى اليمن [2] قال ابن إسحاق : أخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي غزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً

تجديد حفر زمزم:

قال ابن إسحاق : أخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي غزالي الكعبة وحجر الركن فدفنها في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً وبعد أن ردمت زمزم أعيد حفرها مرة أخرى والذى أعاد الحفر عبد المطلب(شيبة)بن هاشم، ويروى أن أول من ردمها - مضاض بن عمرو بن الحارث صهر إسماعيل بن ابراهيم لزوجته الثانيه وردمها إحتجاجاً على ما آل إليه أمر قومه من الترف والإنشغال

---

1) الدر المنثور ج 1 - ص 304 و روح المعاني جزء 13 - ص 236 و البخاري جزء 3 ص 1227

2) سيرة ابن هشام ج 1 - صفحة 243

عن اليقظة الدائمة ونسيانهم أنهم بواد غير ذى زرع وأيضاً إهمالهم للبئر [1] قال محمد بن اسحاق:- كان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر برة ،قال قلت وما برة ؟،قال ثم ذهب عني ، فلما كان الغد [2] رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة قال قلت وما المضنونة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني قال احفر زمزم قال قلت وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبداً ولا تزم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل قال فلما بين لي شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها بئر أبينا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم ،قالوا له فأنصفنا ،فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم ،وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية ،وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا

1- عن الاوائل - أسامه عبد الرحمن ص 16 2- البداية والنهاية جزء 2 - ص 244

والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه فقالوا نعماً أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض لا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤوا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم.

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم وقال وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :-

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر يسقي حجيج الله في كل مبر

ليس يخاف منه شيء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال تعلموا أني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي قال لا قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقا من الله[1] يبين لك وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك فرجع ونام فأتى فقيل له احفر زمزم إنك إن حفرتها لن تندم وهي تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبداً ولا تزم تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام جافل لم يقسم وينذر فيها نادر بمنعم تكون ميراثاً وعقداً محكم ليست لبعض ما قد تعلم وهي بين الفرث والدم.

قال ابن اسحاق فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً فالله أعلم أي ذلك كان قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره زاد الأموي ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش وقالت والله لا نتركنك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث زد عنى حتى احفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحر إلا يسيرا حتى بدا له الطمي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرهم قد دفنتهم ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدرعاً فقالت

1- البداية والنهاية جزء 2 - ص 245

له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش، فضرب عبد المطلب الأسياف، باباً للكعبة ،وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعون ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج [1] وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله p قال في زمزم إنها لطعام طعم .

أسماء زمزم ومن أسماء زمزم :-

طيبة :- لأن عبد المطلب قيل له في منامه أن احفر طيبة فسميت طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برة :- حيث قيل له: احفر برة وهو اسم صادق عليها أيضاً لأنها فاضت للأبرار وغاضت عن الفجار.

المضنونة:- حيث قيل له : احفر المضنونة قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين .

فى رواية أخرى رواها الزبير أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك.

من صفات زمزم:

وقد قيل لعبد المطلب في صفة زمزم : لا تنزف أبداً ولا تذم وهذا برهان عظيم لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء : من ناحية الحجر الأسود وذكر هذا الحديث الدارقطني . [1] وروى عن عبد الله بن عمرو: ان فى زمزم عينا فى الجنة من قبل الركن[2]

روى عبد الرزاق ان بن عباس قال شرب زمزم بأخذ الدلو ثم يستقبل القبلة فيشرب منها حتى يتضلع فإنه لا يتضلع منها منافق [3]

قال عبد الرزاق عن عبد الله بن عمر ولا أعلم الثوري إلا قد حدثناه عن عثمان بن الأسود عن بن أبي مليكة قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل

---

1) سيرة ابن هشام جزء 1 - ص 281و البداية والنهاية جزء 2 – ص 246 ، 247 والروض الأنف جزء 1 - ص 69

فجلس إلى جنبه فقال له ابن عباس من أين جئت قال شربت من زمزم قال شربتها كما ينبغي قال وكيف ينبغي يا ابن عباس قال تستقبل القبلة وتسمي الله ثم تشرب وتتنفس ثلاث مرات فإذا فرغت حمدت الله تعالى وتتضلع منها فإني سمعت رسول الله ρ يقول إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها ويسميها أم جعلان واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله عز وجل وقلة حياء منه .

1- الروض الأنف جزء 1-ص70 2- مصنف عبد الرزاق جزء 5 - ص 112 3- مصنف عبد الرزاق جزء 5 - ص 112

obeikandl.com